والاعتبار الثاني ، هو استحالة تجنب وضع الصهيونية موضع التساؤل لان بنيتها الاصلية تتكرر من خلال بنية دولة اسرائيل التي ، في النهاية ، تتعدى الاولى وتغير وجهها ومعناها حسب المسار الذي يقود من المشروع الى الانجاز ٠

ان الصهيونية التي ولدت في الشروط النوعية لاقفاص اوروبا الوسطى ، قد ورثت عن جذورها محددات يمكن اليوم التعرف على جزء كبير منها في مظاهر تعبيرهـــا الايديولوجي ٠ وقد لاحظ ذلك ايلي المالح عندما كتب : « ان المعضـــلات الاجتماعية والسياسية التي تواجهها دولة اسرائيل ، غير منفصلة عن أسس الصهيونية كما عرفت وسادت منذ تأسيس اسرائيل ٠ وهذه الصهيونية المحدودة عند المفاهيم السياسية للقرن التاسع عشر ، قد ألغت من مشروعها البعد الشرقي ( اليهودي والعربي ) ، لانها تعتمد على مفهوم يعقوبي للسلطة ، وعلى رؤية تاريخية متمركزة حول اوروبا ، وعلى تحديد ترابي فقط للحق » ( دراسة نشرها بصحيفة لوموند الدبلوماسي ، ديسمبر ١٩٧٥ ) ٠

ونجد موني يكيم يؤكد نفس الشيء خلال الندوة الصحفية التي نظمها الفهود السود لاسرائيل ، بباريس في شهر مارس ١٩٧٥ : « ان الصهيونية كحركة سياسية ، قـــد توسعت في اواخر القرن الماضي ودعمت أسسها اعتمادا على الوضعية ذات الخصوصية الكبيرة للعشيرة اليهودية في اوروبا » ٠

هذه الاحكام على الصهيونية تتوزع وتتأكد من خلال عدد كبير من الاحداث والاعمال السياسية والمواقف المتباينة ٠ ذلك ان الصهيونية قد قدمت نفسها ، منذ الوهلة الاولى على انها قومية يهودية ، مما جعلها مطبوعة منذ ميلادها بالتباس مثقل بالعواقب ٠ وقد كانت مطالبتها بالارض تتم حسب خط ملتو ، مليء بالتشابكات وبالرجوع الى الوراء الى محو الخطوات الاولى ، فأحيانا يتعلق الامر بمكان للهروب من الاضطهاد ، وأحيانا ـ وهذا هو التمفصل الاساسي ـ يرتكز المشروع على العودة الى الارض الموعودة وعلى تكوين دولة في فلسطين ٠ هكذا ترتبط الصهيونية ارتباطا مزدوجا بسياق تاريخـي محدد ٠ والتاريخ بالنسبة لها يسير وفق الطريقة المزدوجة للشهوة وللواقع ٠ وهـذا هو مصدر الجدلية المليئة بالتناقضات التي تعتمل في داخلها ولن تتأخر عن الانفجار ٠ ان الصهيونية لكي تبرر مطالبها الترابية ، تستحضر التاريخ ، لكنها تخفي كونها ظرفية ليس لها من واقع موضوعي سوى الرغبة للحفاظ على الهوية الروحية اليهودية الا انها تنتهي عبر الوقائع ، الى نكران وجود فلسطين ووجود الفلسطينيين ٠ ان الصهيونية تريد ان تقدم نفسها كأنها الكلمة الوحيدة والمبعوث النبوي لشعب يهودي وامة يهودية بالرغم من وجود الدياسبورا ٠ لكن ، ما هي حقيقة الامر في الواقع ؟ نجد ان اليهود الاشكيناز ( الغربيين ) هم مؤسسو الصهيونية ٠ وهذا ظرف تاريخي كان بالامكان ان يؤدي الى احداث قليلة ، ففي داخل الديانة اليهودية ، لم يكن اليهود الشرقيون واليهود الغربيون يشكلون فرقا متنازعة ولم يدخلوا قط في صراعات بقصد فرض هيمنة ما ٠ لذلك فان مسؤولية الصراع القائم بين اليهود الاشكيناز السفارديم الان ، في المجتمع الاسرائيلي ، تعود بدون شك الى زعامة اليهود الغربيين ٠ وكون الحديث الاسرائيلي لا يزال يتكلم الى ومنا هذا ، عن الاشكناز والسفارايم والشرقي ، والاجناس المفصولة ، هو دليل ساطع على انه يحمل في ثناياه بذور التمييز العرقي والعنصري ٠ لكن علينا الا نستبـق الاحداث ٠ سأنقل اليكم تصريحا جد هام بالنسبة للموضوع الذي نعالجه ٠ خلال المؤتمر الصهيوني الثامن الذي انعقد بمدينة بال سنة ١٩٠٧ ، صرح الدكتور ماركوز ايهرنبريس،